سينما

كتب تكريمية في مهرجانات سينمائية

تقليد عربي باهت يُمكن تفاديه

مهرجانات سينمائية عربية عدّة تُصدر كتباً تكريمية لشخصيات مختلفة من دون أدنى اهتمام بجودتها الفنية والتحريرية والكتابية واللغوية

نديم جرجوره

تُصرّ إدارات مهرجانات سينمائية عربية عدّة، مُقامة في مدن عربية، على إصدار كتب مختلفة في كلّ دورة من دوراتها السنوية. تختصّ الكتب، غالباً، بشخصيات سينمائية تُكرَّم لسبب ما. هذا يعني أنّ تأليفها يرتكز على الإيجابيات فقط، فالمناسبة احتفالية، والنقاش غير مُحبَّذ، والنقد مرفوض. طبيعة المناسبة تفرض مسائل كهذه، إذ يستحيل تكريم شخصية سينمائية في حفلة افتتاح أو ختام، والكتاب الصادر عنها يتضمّن تحليلاً نقدياً لسيرتها المهنيّة، بما يحمله النقد من تفكيك وسجال. لكنّ المأزق كامنٌ في أنّ الابتعاد عن النقاش والنقد والتحليل يبلغ مرتبةً غير مقبولة من المديح، مع إظهار «أنا» المؤلِّف، كثيراً أو قليلاً، فيُصبح الكتاب، أحياناً، «تكريماً» لمؤلِّفه بقلم المؤلِّف نفسه، لا للشخصية المُكرَّمة.

إصدار كتب تكريمية في مهرجانات كهذه تجربة فاشلة، طباعةً وجودة ونصّاً وصوراً وتوزيعاً وقراءة. ضيوف المهرجان غير مكترثين بالكتب، وغالبيتهم الساحقة تتركها في غرفها في الفنادق بعد انتهاء كلّ دورة. هذا حاصلٌ منذ أعوام كثيرة، في مهرجانات تُعتبر أساسية في العالم العربي، كالقاهرة ودمشق وقرطاج، إذْ يُنظَّم مدراؤها ندواتٍ فكرية ونقدية تتناول قضايا سينمائية عربية عامة، توزّع مداخلاتها المكتوبة على الضيوف، الذين يغيب معظمهم أصلاً عن تلك الندوات، والذين يتخلّون سريعاً عن المطبوعات.

بعض تلك الندوات مهمٌّ حينها، فستينيات القرن الـ20 وسبعينياته تحديداً مليئة بغليان ثقافي وفكري وفني واجتماعي، تُشارك السينما العربية فيه، و«يتورّط» سينمائيون وسينمائيات في تفاصيله وتحوّلاته وأسئلته واشتغالاته، محاولين إنجاز تجديدٍ ما في شكل الفيلم، وفي كيفية تناوله موضوعاً وحالة وحكاياتٍ. رغم هذا، ينفضّ كثيرون عن ندوات كهذه، وعن مطبوعاتها أيضاً، كالحاصل الآن مع كتب غير مفيدة البتّة لشدّة بهتانها، كتابة وسرداً وتفاصيل ومضموناً. الكتب الأهمّ قليلةٌ، إذْ يُحاور نقّاد أو صحافيون سينمائيون المُكرَّمَ، ما يجعل النصّ، رغم ركاكة كتابته وغياب تحريرها، مستَنَداً يُفيد المهتمّ ولو قليلاً، فالكلام عائدٌ إلى الشخصية المُكرَّمة، وهذا مطلوب أحياناً في المهنة.

إلى الأخطاء الفادحة في اللغة والقواعد والطباعة، يسرد بعض مؤلّفي هذا النوع من الكتب حكاياتٍ منسوبة إلى المُكرَّم، وإلى علاقة المُكرَّم بمؤلِّف الكتاب، التي يصعب تأكيدها، فالمُكرَّم متوفّى، والمؤلِّف يستند إلى غيابه لـ«يُخبِر» قارئ مؤلَّفه (!) ما يحلو له من حكايات. رغم أنّ كتباً كهذه توزّع في أيام كلّ دورة، من دون أنْ تدخل المكتبة السينمائية أو تُباع في المكتبات، يتصدّى زملاء لها، يُفنّدون الوارد فيها، ويُقارنون بين محتواها، أو بعضه، وما تحتفظ به كتبٌ أكثر مصداقية، أو أرشيفٌ يندر أنْ يُخطئ. بعض الزملاء يُحلّل مستعيناً بمنطق القراءة النقدية، ومستنداً إلى أقوال ومؤلّفات وأعمال خاصّة بالمُكرَّم، لتبيان أدّعاء مؤلِّف الكتب التكريمية وافترائه وكذبه. كتب الحوارات أفضل، رغم ما فيها من استسهالٍ في الكتابة، وميلٍ أكبر إلى ذكرياتٍ وماضٍ ومرويات، بدلاً من نقاشٍ نقدي، يحضر أحياناً في أسئلةٍ أو سجالٍ بين المؤلِّف والمُكرَّم، وهذا نادرٌ. تجربة الزميل المصري طارق الشناوي مع حسن حسني وسمير غانم، مثلاً، نموذجٌ للمطلوب في كتب كهذه، بمزجها مفهوم التكريم بشيءٍ من الذكريات والحكايات والنقاش المتواضع.

> يُصبح الكتاب أحياناً تكريماً لمؤلِّفه بقلم المؤلِّف نفسه

تعليقٌ كهذا لن يتغاضى عن تجربة شخصية. الزميل المصري عصام زكريا، بصفته رئيساً (سابقاً) لـ«مهرجان الإسماعيلية الدولي للأفلام التسجيلية والقصيرة»، يطلب منّي نصّاً عن السينمائي اللبناني برهان علوية لتكريمه في الدورة الـ21 (10 ـ 16 إبريل/نيسان 2019). النص كتيِّبٌ من 32 صفحة، فيه إعدادٌ لسيرته ومسيرته لعرفة محمود. زكريا يحتاج إلى نصٍّ يُكرِّم علوية ويقرأ نتاجه نقدياً. للسينمائي اللبناني تجربتان مصريتان: «لا يكفي أنْ يكون الله مع الفقراء» (1978)، عن المعماريّ المصري حسن فتحي ومعه؛ و«أسوان» (1991)، عن السدّ العالي. التجربة غير متساوية والتوقّعات. ضيق الوقت عاملٌ أساسيّ، لكنّ بعض كسلٍ واستسهال يحول دون إتمام المطلوب بشكلٍ يُناسب اللحظة. أو ربما لقناعة ذاتية بعدم جدوى نصٍّ يُفترض به أنْ يحافظ على نَفَس تكريميّ بحت. أستعيد النص بين حين وآخر، وأدرك أنّ نتاج المُكرَّم غير حاضرٍ كفاية، بما يليق به وبصانعه. هذا رغم إدراكٍ مهنيّ سابقٍ على التجربة، يقول بأخطاء كتب كهذه، وبخلل نصوصها وبهتان اشتغالاتها.

اختيار علوية لتكريمه في مهرجان سينمائي، يُقام في مصر، استثناء. الغالبية الساحقة في التكريمات المصرية لمصريين ومصريات. يندر الخروج من هذه القوقعة. هذا أيضاً خطأ وخلل وبهتان، إضافة إلى غياب شبه كامل لسينمائيين وسينمائيات مصريين، ينتمون إلى أكثر من جيلٍ لاحق على ذاك الذي يحتلّ المساحة الأكبر في التكريمات السنوية، مع أنّ معظم هؤلاء غائبٌ أصلاً. للسينمائيين والسينمائيات اختبارات مُثيرة لمتعٍ ونقاشاتٍ ومتابعة، لكن النظام المتحكّم بثقافة المهرجانات غير مكترثٍ بهم. يميل زملاء إلى إلغاء هذا التقليد كلّياً. لكنْ، للمهرجانات رأيٌ آخر، فلعلّ في تقليدٍ كهذا علاقات عامة ومصالح فردية.

برهان علوية (باريس، 1983): حضور أكبر من كتيّب تكريمي
(برتران لافوري/ غاما ـ رافو/ Getty)

«لا تتردّد» للهولندي شريف كورفر

عداء صامت في أجواء متوترة وقلقة

سالونيك (اليونان) ـ **ندى الأزهري**

شريف كورفر مخرج هولندي، وُلِد في فنزويلا (7 ديسمبر/كانون الأول 1982) ونشأ في هولندا حيث درس السينما. فيلمه الروائي الطويل الأول، «مُتسلّل» (2014)، عُرض في مهرجانات كبرى، منها تورنتو. فيلمه الثاني، «لا تتردّد» (2021)، اختارته هولندا للمشاركة في التصفيات الأولى لجائزة «أوسكار» أفضل فيلم دولي، في النسخة الـ94، المُقامة في 27 مارس/ آذار 2022، بعد مُشاركته مؤخّراً في «آفاق مفتوحة»، في الدورة الـ62 (4 ـ 14 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021) لـ«مهرجان سالونيك السينمائي الدولي».

النقاش الذي جرى بعد عرضه في سالونيك، بحضور الممثل جو برويرز، أظهر جمهوراً متشوّقاً لسماع خفايا فيلم، تدور أحداثه في منطقة في الشرق الأوسط، المليئة مناطقه بالحروب. فصيلة من الجنود الهولنديين كُلِّفت بمهمة سلام فيها. هذا ما كان يُفترض بها تنفيذه. لكنّ الأمور، كما يحصل دائماً في هذه المنطقة المُشتعلة من العالم، تنجرف إلى مناحٍ أخرى، ليس السلام أحدها. على الأقلّ، حالياً، مع الوجود الأجنبي. الفصيلة الهولندية اضطرّت إلى البقاء في منطقة جبلية معزولة، يُفترض بها أنْ تقع في سورية، بعد تعطّل آليّتيها العسكريتين (شاحنة ومُصفّحة). «قطعة» حربية مُكلِفة، لا يجوز تركها في المكان. لذا، على الجنود أنْ ينتظروا وصول العون لسحب الآليتين، ولسحبهم هم أيضاً.

هذا فيلم يرصد حالة، أيْ وضع معيّن لشخصيات متواجدة في مكان واحد، في زمن محدّد، يواجهها حدث طارئ، يقود إلى أحداث أخرى. العطل حدث في زمان ومكان غير مناسبين. في أجواء أقلّ ما يقال عنها إنّها غير مريحة. منطقة مكشوفة، مُحاطة بمرتفعات وجبال تدعو إلى الحذر والترقّب. الجنود مستعدون عند أقلّ حركة للتصويب على أيّ هدف متحرّك. أول ضحية ستكون معزة فتى محلي (عمر علوان)، سيُعطى تعويضاً مادياً عنها لن يُرضيه. يأخذ التعويض من دون شكر، ويُلحّ باللغة العربية طالباً المزيد. تصعيد آخر يحصل، مع اضطرار قائد الفصيلة إلى مغادرة المكان مع جنوده في مهمّة طارئة. يبقى 3 جنود لحماية الآليتين العسكريتين. 3 جنود شباب، سيكون عليهم الانتظار والصبر ومواجهة الفتى كلّ زمن السرد (90 دقيقة). سيبقى الفتى حولهم، كأنّه شوكة في الحلق. ستتصاعد المواجهة معه، مُحدثةً نتائج ستترك آثارها عليهم مدى الحياة.

تمكّن شريف كورفر من خلق أجواء توتّر وترقّب، حتّى في أوقات استمتاع الجنود بالرقص والغناء، لتمرير الوقت. استمتاع مُفتعل، كأنّه خلاص من هواجس، ونسيان مخاطر. الفيلم مبنيٌّ على أجواء التوتّر هذه، وعلى إثارة شعور دائم بأنّ شيئاً ما سيحدث في أي لحظة، وبأنّ الزمن توقّف بانتظار حدثٍ ما. ساهمت الموسيقى (يوهو نوڤِلاّ وإيلاّ فان دِرْ فاودي)، حادّة الوقع، وتعابير الجنود وحركاتهم المشحونة بعصبية وقلق، بعد أنّ كانت لاهية مطمئنة، في تغذية هذا الشعور. ترافق هذا مع اختيار موقع تصوير فريد بغرابته (اليونان، في طبيعة مشابهة لسورية. تصوير: نديم كارْلْسِن)، فكان له أثر كبير على مجريات السرد.

في هذه الطبيعة القاسية، حيث تُخفي الجبال ما وراءها، والشمس حارقة، والمكان فارغ من أي مخلوق، تجلّت عداوة مُقلقة. كأنّ المكان مليءٌ بعشرات العيون التي تحدّق عن بعد، وتترصّد من دون أنْ تظهر. كأنّ على هؤلاء الجنود الشباب الثلاثة ترقّب وصول كلّ أعداء الأرض، وحدوث كلّ الأخطار.

«لا تتردّد» لشريف كورفر: صدمة الواقع وعنفه (الملف الصحافي)

> جمهور متشوّق لسماع خفايا فيلم عن منطقة في الشرق الأوسط

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

أفلام جديدة

■ Cry Macho لكلينت إيستوود (الصورة) مخرجاً وممثلاً، مع دُوايت يُوَاكَم ودانيال في. غرولو: يُكلَّف نجم مسابقات رعاة البقر، بعد سقوطه من عرش نجوميته وشهرته وجماهيريته الواسعة، بمهمّة تبدو أولاً بسيطة وعادية، لكنّها تظهر سريعاً أنّها شبه مستحيلة: السفر إلى المكسيك لإحضار فتى مُشاكسٍ إلى تكساس. هناك، يواجه النجم السابق أخطر تحدّياتٍ ومغامرات، بوقوعه في العالم السفلي للبلد، ولشرطته وناسه.

■ Rue De L'Humanite 8 لداني بووم مخرجاً وممثلاً، مع لورنس آرني (الصورة) وفرنسوا داميان: شوارع باريس فارغة وصامتة. الجميع فرّوا منها، باستثناء 8 عائلات تُقيم في 8 شارع الإنسانية، بين أفرادها مالك حانة يجهد في إبقائها مفتوحة أمام الراغبين. أمزجة مختلفة، وبعضها يتناقض مع بعضها الآخر. يريدون اختراع لقاح، لكنّهم يرفضون الخضوع لتحليل البول. حكايات وعلاقات وتفاصيل مستوحاة من عالم اليوم.

■ Halloween Kills لديفيد غوردون غرين، تمثيل جايمي لي كورتيس (الصورة) وجايمس جود كورتني: تظنّ لوري سْترود أنّها تخلّصت نهائياً من مُعذّبها الدموي والعنيف مايكل مايرز، بعد اندلاع حريق أصابها بجروح، نُقلت بسببها إلى المستشفى. لكنّ مايرز يظهر مجدّداً، في حلقة إضافية من السلسلة السينمائية الهوليوودية المشهورة، «هالوين»، في مغامرات أعنف وأكثر دموية من قبل.

■ My Son لكريستيان كاريون، تمثيل جايمس ماكفوي وكلير فوي (الصورة) وتوم كولن: بعد طلاقه وتخلّيه عن ابنه (7 أعوام) الوحيد ليتابع سيرة مهنية عالمية، يعود إدموند مورّاي إلى بلدته إثر اختفاء الابن، الذي (الاختفاء) ينكشف سريعاً على أنّه عملية خطف. اليأس يسيطر على الوالدين، لكن ماكفوي يتحرّر منه عبر خوضه مغامرة البحث عن وحيده، بكل ما في المغامرة من مخاطر وتحدّيات ومواجهات وعنف.

■ Un Monde للورا وانڈِلْ (الصورة)، تمثيل مايا فاندربك وغونتر دوري وكريم لِكْلو: منذ أيامها الأولى في المدرسة الثانوية، تكتشف أنّ شقيقها الأكبر منها يتعرّض لتنمّر قاس من زملائه، فتحاول مساعدته، رغم أنّ والدهما بعيدٌ عنهما، نفسياً وروحياً. عالم المدرسة ومسألة التنمّر وكيفية المواجهة أمور تتشابك في سياق حكائي صادم ومؤثّر.